المحاضرة الخامسة

المدرسة التوليدية التحويلية ومؤسسها الأمريكي شومسكي

د. تومان غازي الخفاجي

أولا: كيف يعمل العقل اللغوي:

تشاطر العلوم المختلفة في الاقرار بأنّ عددا من مميزات الذهن–الدماغ، يمكن مقاربتها على شاكلة أنساق حاسوبية مقعدة، تستعمل في تنفيذ الأفعال أو التأويل. وتزودنا بـ: (إجراء اكتشاف أنماط اللغات، وإجراء تطوير مختلف الأنحاء (جمع نحو) الممكنة) وهي بذلك تأخذ بعين الاعتبار معياري الاقتصاد بالمصطلحات والبساط، وأهمها ما يأتي:

١– القواعد التوليدية:

افترض شومسكي أنّ الدماغ البشري فيه بنى عميقة في الذهن، تسمّى المقدرة، وهي قوالب قليلة يمكن أن ينسج عليها متكلم اللغة الأمّ عددا لا يحصى من الجمل التي لم يكن قد سمعها من قبل، مثال ذلك قالب: (فعل+ فاعل) ننسج عليه: (جاء زيدٌ/ يجيء زيدٌ/ سيجيئ زيدٌ، قائمٌ زيدٌ/ محمودٌ زيدٌ/ نجّارٌ زيدٌ/ الأفضلُ زيدٌ/ عدلٌ زيدٌ/ في الدار زيدٌ/ يومَ السبتِ زيدٌ، بمعنى (يسبت ويرتاح)، منشارٌ زيدٌ/ أي مؤذٍ/ تميميٌّ زيدٌ، أي منسوب...الخ) ويفهمها الآخر من دون أن يكون قد سمعها من قبل.

٢– القواعد التحويلية:

عندما يتكلم المتكلم، يستعمل مقدرته الكامنة في الدماغ، فتخرج الجمل من البنية العميقة إلى الأداء أو البنية السطحية، ومثل ذلك يصوغ المتكلم على القالب العميق: (مبتدأ+ خبر+ مفعول+ ظرف مكان) جملة: (زيدٌ أكلَ التفاحةَ في المدرسة) هذه الجملة يمكن إجراء ثلاثة تحويلات عليها وهي:

أ– حذف عنصر منها، فنقول: (زيد أكلَ التفاحة).

ب– إضافة عنصر جديد إليها فنقول: (إنّ زيدا أكلَ التفاحةَ).

ج– نقل عنصر من مكان أصلي إلى آخر، نحو: (التفاحةَ زيدٌ أكلها).

ثانيا: أهداف النظرية اللسانية و التجربة

من الثابت أنّ النظرية اللسانية قد خلقت أنساقا من الافتراضات تتماشى مع اللغات البشرية، لأنّها تريد معرفة ما يأتي:

أ- رصد الخصائص المشتركة بين اللغات البشرية.

ب- تتجه نحو مخاطبة (المتكلم المستمع المثالي)، الذي ينتمي إلى أسرة لغوية معينة، ويتسم بخصائص الكائن البشري العادي الذي يتفاعل مع اللغة و ينتج جملا جديدة لم يسبق له أن سمعها من قبل.

ج- اختبار النظرية على التجربة كما هو الحال في العلوم الطبيعية. وفي اللسانيات لابدّ أن نخضع عينات البحث للتجربة وفق النظرية التوليدية المرسومة سلفا وما تحمله من مبادئ وأسس وقضايا ومسلمات...، وإذا ما تم تعارض بين النظرية والتجربة (فغالبا تغيير التجربة بدلا من تغيير النظرية).

ثالثا: خصائص بناء النظرية اللسانية:

لكل بناء خصائص معينة، و خصائص بناء النظرية اللسانية في أغلب أحواله يمر من مراحل متعددة : ١- فرضية العمل الاعتباطية وهي المقدمة الأولى للتأسيس؛ ٢- تطوير الأسئلة؛ ٣- تكوين الافتراضات؛ ٤- اختيار الافتراضات واختبارها؛ ٥- تأسيس النظرية.

فالنظرية التوليدية بهذه التراتبية عبارة عن مجموعة من الفرضيات التي تسمح صياغة قواعد صارمة قابلة للروز باعتماد التجربة و التجريد، وهي تقدم خدمة للنحو التوليدي التحويلي في كل مستوياته: الصوتية، والصرفية والتركيبية والدلالية المعجمية، وللكلّ لغات العالم الطبيعية.

رابعا: المقدرة (الكفاية) اللسانية والأداء:

سبق أن درسنا تمييز سوسير بين ثنائية: (اللغة والكلام)، فاللغة اجتماعية موجودة قبل أن يولد الإنسان فيتعلمها من المجتمع، وحين يموت تبقى اللغة في المجتمع، واللغة أو اللسان يشبه البرنامج الحاسوبي منزلة في الدماغ، وعلى هذا المعنى صاغ

شومسكي مصطلح (المقدرة أو الكفاية) الكامنة في الدماغ، كقوة رافع الحديد الكامنة في عضلاته، قبل أن يستعملها برفع الحديد فعلا.

أمَّا الكلام عند سوسير فهو الفردي وهو التنفيذ الفعلي للغة، أي الجانب الأدائي التنفيذي الذي ينتجه الأفراد. وهو نفس مصطلح الأداء عند شومسكي. فعرفت اللغة عنده بالكفاية (Competence) وهي معرفة المُتكلم بلغته، والكلام بالأداء والإنجاز الكلامي (Performance) وهو ما ينتج عن هذه المعرفة من كلام متحقق في مواقف ملموسة . وفرّق شومسكي بين الكفاية والأداء، وعدّ الفرق بينهما فرقًا أساسيًا، فلا يعدّ الأداء عنده انعكاسًا مباشرا للمقدرة أو الأداء، بل يعكسها تحت جملة من الشروط المثالية التي ترتبط بالمتكلم والسامع.

لكن يوجد فرق بين مصطلحات سيوسير وشومسكي، إذ تعني المقدرة قدرة المتكلم على بناء جمل نحوية سليمة، مع التمييز بين هذه الجمل وأخرى غير نحوية، وتركز النظرية التوليدية على حدس المتكلم في وضع تفسير للجمل. فإذا كان المتكلم المثالي قادرا على هذا التمييز، وباستطاعته إدراك مدى مقبولية الجمل أو لا، فإن شومسكي قد وصف اللغة؛ بوصفها نشاطا عقليا إنسانيا ؛التي يتحدث بها هذا المتكلم بالابداعية كذلك ما دام توفر المتكلم على قدرة لامتناهية في استحداث جمل و تكوينها دون أن يكون قد سمعها من ذي قبل، وكذا توفره على حدس فطري يجعله لا يخلط بين الجمل الحسنة التكوين والسيئة التكوين.

وقد يطرح في هذا المقام الفرق بين الجمل المغلوطة نحويا نحو: (زيدٌ إنّ جاء)، والصحيحة نحويا ولكنها سيئة المعنى نحو قولنا: (الأفكار الخضراء تنام ببطء).